التطبير بين الشعائرية والتحريم

رشيد السراى

تحدثنا ضمن سلسلة طويلة -وربما شاقة- حول التطبير ولتتمة الموضوع بودى أن أشير إلى الملاحظات التالية:

١-رغم إنى لا أؤيد التطبير من البداية لكنى كتبت هذه المقالات بنفس علمى محاولاً تقصى اغلب الآراء وأمتنها حول الموضوع.

٢-الغرض من الكتاب ليس محاولة تشويه الشعائر الحسينية ولا محاربتها-كما تحدث عن ذلك بعض من راسلنى من مؤيدى التطبير مع غض النظر عن الشتائم التى تضمنتها رسائلهم-، وليس الغرض أيضاً خدمة طرف معين على حساب طرف آخر أو محاولة لنشر الغسيل على مرأى ومسمع من الآخرين كما عبر احدهم، وهو ليس محاولة لمزاحمة العلماء والفقهاء فى ميدانهم ولا هو دعوى للتمرد على الفتوى كما عبر آخر.

٣-التطبير -وأمور أخرى مشابهة- موضع نقاش من الآخر ولطالما كان -واستعير هنا التعبير المنسوب للسيد محسن الحكيم- غصة فى حلقومنا عند نقاشنا مع الآخر، فوضع خطوط حمراء أو صفراء-أو من أى لون آخر- أمام من يحاول مناقشته أو الحديث عنه بشىء من النقد الموضوعى هى محاولة خاطئة ، فالموضوع مطروح للنقاش والصمت عنه لا يفيد بشىء.

٤-من المتعب جداً أن تحاول تبرير بعض الأمور-والتى يقول البعض بلاعقلانيتها- المنسوبة إلى أهل البيت (عليهم السلام) دون وجه حق ، وقد يكون التبرير فيه تكلف كبير ، ولا يفيد فى إقناع الآخر ، والحل المنطقى هو أن نرفض هذه الأمور ما دامت لم ترد بدليل معقول.

٥-إثناء كتابتى للحلقات قرأت الكثير من الكتب والمقالات التى تحدثت عن الموضوع وقد لاحظت إن الكثير مما كُتب تأييداً للتطبير كتب بلغة متشنجة جداً وتعمد بعض الكتاب التمويه على القارئ ،فمثلاً عندما يتحدث عن الشعائر الحسينية كاتب ما ويقول لک إن الكاتب الفلانى أو الرأى الفلانى فيه محاربة للشعائر فهل تملک إلا

أن تتفاعل معه وتنتقد هذا الكاتب المتحذلق الذى يتحدث عن الشعائر الحسينيۀ بسوء، فى حين لو دققت النظر لوجدت إن الكاتب الناقد ليس بأقل حباً واحتراماً من منتقديه للشعائر الحسينيۀ،فاستخدام العاطفۀ فى استدرار تأييد وعطف القارئ أمر مستهجن فى الكتابات العلميۀ.

٦-التطبير موضع خلاف بلا شک-رغم إن الأغلبيۀ فى الوقت الراهن مع رفضه حسب استقرائى- ولكن الخلاف حول هذا الموضوع لا يستدعى تفسيق الآخر ونبزه بأقسى واشد الألفاظ فضاعۀ ،فانا شخصياً مع كونى رافض للتطبير إلا إنى أتقبل رأى مؤيد التطبير الذى ينطلق من منطلق موضوعى فى تأييده دون تشنج يُذكر وأحاول الحوار معه بكل لطافۀ وهدوء ،وهذا الموقف هو المتوقع من أتباع أهل البيت عليهم السلام .وهنا بودى أن أشير إلى لطيفۀ ذكرها لى احد العلماء حيث قال ما مضمونه إذا أردت أن تعرف الفارق بين التطبير-الذى لم تثبت شعائريته- والشعائر الحسينيۀ الأخرى فعليک أن تجرب الاعتراض على المطبرين إثناء تطبيرهم والاعتراض على القائمين بالشعائر الأخرى إثناء قيامهم بتلک الشعائر لترى الفرق بين ردۀ فعل الاثنين، واحكم بنفسک أى ردۀ فعل هى الأقرب إلى منهج أهل البيت عليهم السلام !!

طبعاً لا حاجۀ بى للقول إنى لم أنفذ مقترحه هذا لأنى على يقين إن ردۀ فعل المطبرين ستكون بالقامات وأنا لى رأس واحدۀ انوى الحفاظ عليها!!!!

٧-حتى لو قلنا -تنزلاً-إن التطبير مستحب فهو يقع ضمن إطار إظهار الجزع أو المواساۀ أو البكاء أو الإبكاء، أى هو أسلوب من أساليب إظهار الجزع أو المواساۀ أو البكاء أو الإبكاء ، والأساليب ممكن أن تتغير من زمن لآخر -شريطۀ أن توصل للهدف بطريقۀ صحيحۀ-فقد يكون التطبير أسلوباً مناسباً لما قبل ١٠٠ سنۀ أو أكثر من ذلک ،إذ قد كان يراه الناس أسلوباً مناسباً لإظهار ماذكرناه -رغم إنى اشک فى ذلک-فلا شک انه لم يعد كذلک خاصۀ لو لحظنا بعين الاعتبار تغير الكثير من العادات والأعراف والطباع والهجمۀ الشرسۀ التى يتعرض لها الدين والمذهب والتى ستفيد القائمون عليها وسائل الإعلام الحديثۀ وما توفره من آليات للنقل والتهويل.

٨-الكل يعلم إن إقامۀ حدود الله سبحانه وتعالى من الأمور الواجبۀ، فهل سئل احدنا لماذا لا تقام هذه الحدود أو يتم المطالبۀ بإقامتها على الأقل؟!!

لو سئلت لوجدت إن الجواب-وهو جواب مقنع جداً-إن الظروف غير مهيئۀ لذلک!!!

فإذا كان عدم توفر الظرف المناسب له مدخلية فى الموضوع لهذه الدرجة بحيث يصح معه تعطيل الحدود الواجبة فلماذا لا يتم النظر للتطبير-فى نظر مؤيديه- بنفس الطريقة وهو فى أحسن حالاته مستحب عندهم؟؟!!

فكما إن الظرف غير مناسب بحيث اقتضى تعطيل الحدود ،فالظرف غير مناسب-لو نظرنا إلى موجة النقد والتشهير الكبيرة التى يتعرض لها المذهب بسبب ذلك- أيضاً لممارسة التطبير!!

٩-مما لاحظته إن كل من ينتقد التطبير -حتى لو كان مرجعاً- يتعرض لسهام النقد اللاذعة من البعض بل والشتائم والتفسيق-وقد نالنى جزء منها- بل ربما يتهم بالكفر والخروج من الدين أو المذهب أو غير ذلك من التهم الجاهزة، ولا حاجة للتذكير إن ذلك خلاف منهج أهل البيت عليهم السلام فكان الأولى أن تكون الردود علمية دون تهجم.

١٠-قد يُتهم البعض ممن يؤيدون التطبير بان وراءهم أجندات خاصة وأغراض غير صحيحة ولكنى شخصياً لا أريد الخوض فى هذا الموضوع وأقول إن ذلك محتمل ولكن حسن الظن المتبادل وإبقاء المسألة ضمن إطار النقاش العلمى هو الأفضل بكل تأكيد.

١١-أُلفت الكثير من الكتب-ذكرنا اغلبها فى مقالاتنا- لتأييد التطبير ،وكتبت الكثير من المقالات حول ذلك ولكن مما يؤسف له عدم وجود كتب للطرف الرافض للتطبير وشخصياً لم اطلع على كتاب واحد حول ذلك إلا إذا عددنا كتاب احمد الناصرى(التطبير تاريخه وقصصه) وكتاب (جدل ومواقف فى الشعائر الحسينية) ضمن الكتب الرافضة وان كانت لم تؤلف لهذا الهدف.

وهذه قائمة ببعض الكتب التى يمكن عدها من الكتب التى كتبت لرفض التطبير ولكنى للأسف لم أتمكن من الاطلاع عليها وأطلعنى على بعض مضامينها أحد الأصدقاء:

أ-كتاب (التطبير و الإشكالية المزمنة) لباقر رستم صدر فى سنة ٢٠١٠ عن دار المحجة البيضاء.

ب-كتاب (الشعائر الحسينية بين الوعى والخرافة) للسيد محمود الغريفى صدر فى سنة ١٩٩۴.

ج-كتاب (كربلاء بين الأسطورة والتاريخ: دراسة فى الوعى الشعبى الإيرانى) لأحمد لاشين صدر فى سنة ٢٠٠٩.

د-كتاب (مقدمة فى الإصلاح و التجديد للشعائر الحسينية) صدر سنة ٢٠٠٩.

هـ-هناک مدونة فى الانترنيت تتضمن الكثير من المقالات حول رفض التطبير ، وقد قام صاحبها مشكوراً بنشر سلسلة المقالات هذه، يمكن الاطلاع عليها على الرابط.